جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالديدامون – شرقية

الوسطية وأثرها في التقويم السلوكي للفرد والمجتمع

إعداد

دكتور: أحمد سيد محمد سالم حنفي

المعيد التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالديدامون شرقية

المؤتمر العلمي الدولي الأول

١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م

بسم الله الرحمن الرحيم

الوسطية وأثرها في التقويم السلوكي للفرد والمجتمع

أحمد سيد محمد سالم حنفي
قسم: التفسير وعلومه كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالديدامون – شرقية المدينة: فاقوس جامعة الأزهر
الدولة: جمهورية مصر العربية

ملخص البحث:

هذا بحث تحدثت فيه عن مفهوم الوسطية وكيفية الترسيخ للفكر الوسطي في أنفس الناس، والإيمان العميق بالتعددية، والسعي لتحقيق الوفاق والتعايش المجتمعي، وكيفية تقبل الآخر من غير تقليل منه أو تسفيهٍ لرأيه، ومن ثم احترامه، ودللت على أن مفهوم الوسطية لا يزال بكرًا في مجال التنظير والممارسة، ويحتاج إلى مزيد من الأبحاث والدراسات على شتى الأصعدة سواء اقتصاديًا، أو اجتماعيًا، أو غيرهما، لذلك فهو يحتاج إلى جهود فكرية، وعلمية، وثقافية، حتى ينعم الفرد والمجتمع بالأمن والسلام، ومن ثم تنضبط سلوكيات الأفراد والمجتمعات.

الكلمات المفتاحية: الوسطية- التعايش- الوفاق- التقويم - السلوك- الفرد- المجتمع.

Moderation and its impact on the behavioral assessment of the individual and society

Ahmed Sayed Mohamed Salem Hanafi
Department of interpretation and sciences of The Quran
Faculty of Islamic studies and Arabic male al–diadamon – sharqia
city: Faqus AL–Azhar University
country: Arab republic of Egypt

Research Summary:

This is a research in which I talked about the concept of moderation and how to consolidate the moderate thought in the souls of people، and the deep belief in pluralism، and the quest to achieve harmony and social coexistence، and how to accept the other without belittling him or disparaging his opinion، and then respecting it، and indicated that the concept of moderation is still virgin in the field of Theorizing and practice، and it needs more research and studies at various levels، whether economically، socially، or others، so it needs intellectual، scientific، and cultural efforts، so that the individual and society enjoy security and peace And then adjust behaviors individuals and societies.

Keywords: Moderation - coexistence - harmony - evaluation - behavior - the individual - society .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد الله الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا، خلق من الماء بشرًا فجعله نسبًا وصهرًا وكان ربك قديرًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق الخلق وأحصاهم عددًا وقسم الأرزاق ولم ينس أحدًا، خلق الخلق بقدرته إحسانًا وفضلًا ثم جعل كلٌ منهم يفعل ما بدا له ليحشره يوم القيامة فردًا، فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله

محمدٌ سيدُّ الكونينِ والثَّقَلَيْن ****** والفريقينِ من عُربٍ ومن عجمِ

نبينَّا الآمرُ الناهي فلا أحدٌ ****** أَبَرُّ في قولٍ لا مِنْهُ ولا نَعَم

هُوَ الحَبيبُ الذي تُرْجَى شَفاعَتُهُ ****** لِكُلِ هَوْلٍ مِنِ الأَهْوَالِ مُقْتَحِمِ

دعا إلى اللهِ فالمستمسكونَ بهِ ****** مستمسكونَ بحبلٍ غيرِ منفصمِ[1].

وبعد،

فخيرُ ما قُطع به الوقت وشُغلت به الأنفس، وتُقرب به إلى الله تعالى طلبُ علمٍ أَخرج من ظلمة الجهل إلى نور العلم والمعرفة والإيمان، وانطلاقا من قول الله ﷻ ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[2]، ومن قول النبي ﷺ « إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو

---

(١) الأبيات للإمام البوصيري-رحمه الله-من قصيدته المعروفة بالبردة. ينظر: (ديوان البوصيري)، (ص: ٢٤٠).

(٢) (سورة المجادلة، جزء الآية: ١١).

لـــه»[1] فـــإني أحمـــد الله ﷻ أن جعلنـــي ممـــن اســـتعملهم في تعلُّـــمِ العلـــم الشـــرعي ويسرـــلي هـــذا الطريـــق؛ لعـــلي أنفـــع بـــه أحـــدًا مـــن خلقـــه فيكـــون ســـببًا في دخـــولي الجنـــة، وإني إذ أحمـــده ﷻ عـــلى واســـع كرمـــه وعظـــيم فضـــله فـــإني أســـأله ﷻ أن يجعـــل هـــذا العمـــل خالصًـــا لوجهـــه ﷻ وتثقـــيلًا في مـــوازين أعـــمال أبي- رحمـــه الله-، وبركة في عمر أمي، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

واســـتنادًا إلى مـــا شرفتنـــا بـــه كليتنـــا المباركـــة: كليـــة الدراســـات الإســـلامية والعربيـــة بنـــين بالديـــدامون شرقيـــة بإقامـــة مؤتمرهـــا الـــدولي الأول تحـــت عنـــوان «الوســـطية تأصـــيلًا وتطبيقًـــا وأثرهـــا في تحقيـــق الأمـــن الفـــردي والمجتمعـــي» ومـــن بـــاب المشـــاركة والنفـــع العـــام فقـــد اســـتعنت بـــالله وتقـــدمت بهـــذا البحـــث تحـــت عنـــوان «الوســـطية وأثرهـــا في التقـــويم الســـلوكي للفـــرد والمجتمـــع»، والله أســـأل أن يفـــيض عـــلي مـــن علمـــه، ويلهمنـــي مـــن فضـــله، ويهـــديني ســـواء الســـبيل. وصـــلى الله عـــلى نبينـــا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) (صحيح مسلم)، (ك/ الوصية)، (ب/ ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته)، (ح/ ١٦٣١)، (٣/ ١٢٥٥)، ط/ دار إحياء التراث العربي- بيروت.

خطة البحث

اقتضت خطة البحث أن تتكون من مقدمة، وفصلين، وخاتمة.

أما المقدمة ففيها ما يأتي:

أولًا: أهمية هذا الموضوع وتتلخص فيما يأتي:

١- وجوب ترسيخ الفكر الوسطي في أنفس الناس، والإيمان العميق بالتعددية، والسعي لتحقيق الوفاق والتعايش المجتمعي.

٢- كيفية تقبل الآخر من غير تقليل منه أو تسفيهٍ لرأيه، ومن ثم احترامه، وعدم الحجر على رأيه طالما لم يخالف الثوابت الشرعية .

٣- هذا الموضوع من شأنه أن يحقق السلام المجتمعي والتكامل المنشود بين الفرد ومجتمعه.

٤- تطبيق منهج الوسطية ينسف كل الأفكار المتشددة المنغلقة على فكرٍ واحد المقتنعة بوجهات نظر مسبقة.

٥- تعزيز قيم التسامح والحرية والعدالة وكافة حقوق الإنسان والدفاع عنها، وذلك باعتبارها أسس رسالة الوسطية الإسلامية.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع:

١- الحاجة الملحة إلى تفصيلٍ أكثر لمعنى الوسطية، فربما اقتصر البعض على تعريف الوسطية بأنها بين الإيمان والكفر فقط، وهذا تضييق لواسع.

٢- شمولية «الوسطية» تجعل منها منهج حياة لابد أن يطبق على الأفراد، ومن ثم تنصلح به المجتمعات.

٣- المشاركة ولو بجزء يسير ببيان هذه اللفظة، وبيان بعض معانيها مما قد يغفل عنه بعض الناس.

٤- الوسطية موضوع لا يزال بكرًا في مجال التنظير والممارسة، ويحتاج إلى مزيد من الأبحاث والدراسات على شتى الأصعدة سواء اقتصاديًا، واجتماعيًا، وغيرهما؛ لذلك يحتاج

إلى جهود فكرية، وعلمية، وثقافية، حتى ينعم الفرد والمجتمع بالأمن والسلام.

وأما الفصلان فبيانهما كما يأتي:

الفصل الأول: تأصيل الوسطية، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مفهوم الوسطية، ويشتمل على أربعة مطالب.

المطلب الأول: مفهوم الوسطية في اللغة.

المطلب الثاني: مفهوم الوسطية في الاصطلاح.

المطلب الثالث: أدلة الوسطية في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: أدلة الوسطية في السنة المطهرة.

المبحث الثاني: الضوابط العامة للوسطية، ويشتمل على مطلبين.

المطلب الأول: كيفية إدراك الوسطية، والعمل بها.

المطلب الثاني: الوسطية وعلاقتها بالأحكام الفقهية، والمستجدات العصرية.

الفصل الثاني: الوسطية منهج حياة، ويشتمل على مبحثين

المبحث الأول: أثر الوسطية في شؤون الحياة، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أثر الوسطية في تقويم سلوك الأفراد.

المطلب الثاني: أثر الوسطية في الترابط والنهوض المجتمعي.

المبحث الثاني: كيفية القضاء على الغلو والتطرف من خلال الوسطية، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: دور الدولة والهيئات التعليمية في إرساء مبدأ الوسطية ونشر الفكر الوسطي.

المطلب الثاني: دور الأسرة في ترسيخ مباديء الفكر الوسطي والحفاظ على أفرادها من الانزلاق بعيدًا عنه.

وأما الخاتمة فقد ضمنتها ما يأتي:

أولًا: النتائج والتوصيات المستخلصة من البحث.

ثانيًا: المراجع، والمصادر.

منهجي في البحث:

اقتضت طبيعة البحث عدة أمور منها:

أولًا: الجمع بين المنهج التحليلي وذلك بتحليل النقول والأقوال وعزوها إلى أصحابها. والمنهج النقدي إن وجد وذلك بتقويم بعض الأقوال والآراء، وتوضيح الرأي فيها إما بالقبول، أو الرفض، أو التوقف عند تكافئ الأدلة.

ثانيًا: عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة الكريمة، ورقم الآية، ونسخ الآيات القرآنية برسم المصحف الشريف على رواية حفص معتمدًا فيها على مصحف المدينة النبوية بالرسم العثماني.

ثالثًا: الحكم على الأحاديث الواردة في البحث عدا ما ورد في الصحيحين.

ثالثًا: ضرورة النزول إلى أرض الواقع وربط الجانب النظري بالواقع العملي المعاصر.

رابعًا: أثبتُ اسم المرجع واسم مؤلفه، ومعلومات نشره، عند أول ذكر له.

خامسًا: وضعت خاتمة اشتملت على أهم النتائج المستخلصة من البحث، والتوصيات.

ثامنًا: ذيلتُ البحث بمجموعة من الفهارس؛ ليسهل للقارئ فيه الوصول إلى بغيته.

الفصل الأول

تأصيل الوسطية

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مفهوم الوسطية، ويشتمل على أربعة مطالب.

المطلب الأول: مفهوم الوسطية في اللغة.

المطلب الثاني: مفهوم الوسطية في الاصطلاح.

المطلب الثالث: أدلة الوسطية في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: أدلة الوسطية في السنة المطهرة.

المبحث الثاني: الضوابط العامة للوسطية، ويشتمل على مطلبين.

المطلب الأول: كيفية إدراك الوسطية، والعمل بها.

المطلب الثاني: الوسطية وارتباطها بالأحكام الفقهية، والمستجدات العصرية.

المبحث الأول

مفهوم الوسطية

ويشتمل على أربعة مطالب.

المطلب الأول: مفهوم الوسطية في اللغة.

المطلب الثاني: مفهوم الوسطية في الاصطلاح.

المطلب الثالث: أدلة الوسطية في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: أدلة الوسطية في السنة المطهرة.

المطلب الأول: مفهوم الوسطية في اللغة.

قد سطر كثير من العلماء كلامًا كثيرًا في مفهوم الوسطية وما ترمي إليه وكلٌ قد أدلى بدلوه من الاتجاه الذي تراءى له، فهذا يتكلم فيها من الناحية الفقهية، وذاك يتكلم فيها من الناحية العقائدية، وآخر يتكلم فيها من الناحية الاقتصادية، إن دل هذا فإنما يدل على اتساع مفهومها، وأنها لا تزال حمَّالة معانٍ تحتاج من الباحثين أن ينقبوا عنها؛ ليظهروها للعامة.

وبالنظر إلى أصل هذه الكلمة في كتاب (العين)[1] نجد أنها مشتقة من مادة: «وسط»، وهذه المادة تأتي على معانٍ متعددة، منها:

١- الوَسْط (مُخَفَّفًا) وهو: مَوْضِع للشّيء، تقول: زيدٌ وَسْطَ الدّار، فإذا نصبت السّين صار اسمًا لما بين طَرَفي كلِّ شيء.

٢- التوسط (البينية)، يقال: وَسَطَ فلانٌ جماعةً من النّاسِ، وهو يَسِطُهُمْ، إذا صار في وَسطهم. وسُمِّي واسطُ الرَّحل [واسِطًا]؛ لأنّه وَسَطٌ بين الآخرةِ والقادمةِ، وجَمْعُه: أواسط. وفلانٌ وَسِيطُ الحَسَب في قَوْمه، وقد وَسُطَ وساطة وسِطَةً. ووسّطة توسيطًا.

٣- العدل وهو: الوَسَطُ من النّاس، ووسط كلّ شيءٍ: أَعْدَلَه، وأفضله، ليس بالغالي ولا المُقَصِّر[2].

وقد وردت في (جمهرة اللغة) بمعنى : الخيرية، فالوسيط من النَّاس: الخَيِّر مِنْهُم، ومنه قوله ﷻ ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾[3]، أَي خَيرهمْ[4].

أقول: ومن خلال ما سبق يتضح أن هذه الكلمة يدور مفهومها اللغوي حول عدة معاني لا تخرج عنها وهي: البينية، (التوسط)، والنصف، والخيرية، والعدل.

□

---

(١) (العين)، للإمام: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، (ت: ١٧٠هـ)، ط/ دار ومكتبة الهلال، بدون تاريخ.

(٢) ينظر: (المرجع السابق)، (ص:٧/ ٢٧٩)، بتصرف يسير.

(٣) (سورة القلم، جزء الآية: ٢٨).

(٤) ينظر: (جمهرة اللغة)، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، (ت:٣٢١هـ)، (٢/ ٨٣٨)، ط/ دار العلم للملايين، بيروت، ط/ الأولى، ١٩٨٧م.

المطلب الثاني: مفهوم الوسطية في الاصطلاح.

إذا تأملنا معاني الوسطية في الاصطلاح وخصوصًا الشرعي لوجدنا أنها لا تختلف ولا تخرج عن المعاني اللغوية التي سلف ذكرها. فمفهوم الوسطية دائر بين البينية (التوسط)، والعدل، والخيرية التي يعبر عنها أيضا بلفظ العدل، فشريعة الإسلام وسط بين إفراط المغالين كاليهود، وتفريط المُفرِّطين كالنصارىٰ، وهذا ما أكده المفسرون[1].

وما أميل إليه: أن الوسطيَّة ليست محصورة في جزئية من الجزئيات، وإنما هي منهج متكاملٌ شاملٌ لا ينفصل بعضه عن بعض، فالإسلام كلّه وسطٌ، والغافل عن هذا إنما هو غافل عن جوهر القرآن ومقاصده.

المطلب الثالث: أدلة الوسطية في القرآن الكريم.

جاء القرآن الكريم مقرّرًا لمنهج الوسطيَّة في أبواب العبادات، والمعاملات، والاعتقاد، والحكم والتحاكم، وفي باب الجهاد، والاجتهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغيرها من الأبواب والمجالات. ومن تأمل كتاب الله ﷻ لا يكاد يتلو بضع آيات إلا ويجد فيها ذلك صراحة أو إيماءً. ولذلك فإن الذين حصروا الحديث عن الوسطيَّة في الآيات التي جاء فيها لفظ (الوسط) أو ما اشتق منه، قصروا الكل علىٰ بعض أجزائه، وإلا فإن بعض الآيات التي لم يرد فيها لفظ الوسط جاءت أقوىٰ دلالة علىٰ الوسطيَّة من آيات ورد فيها هذا اللفظ.

ولقد جاءت آيات كثيرة في القرآن مقررة لمفهوم الوسطية صراحة مؤكدة لما ترمي إليه هذه اللفظة الشاملة، من ذلك قوله ﷻ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[2]. وقوله ﷻ

---

(١) منهم الإمام الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب)، (٤/ ٨٤)، ط/ دار إحياء التراث العربي- بيروت، الثالثة، ١٤٢٠هـ.

(٢) (سورة: البقرة، جزء الآية: ١٤٣).

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1].

وقد جاءت آيات كثيرة مقررة لمفهوم الوسطية في معرض الإيماء والتلميح، منها: قوله ﷻ ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[2]، وقوله ﷻ ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[3].

المطلب الرابع: أدلة الوسطية في السنة المطهرة.

كما تعددت الآيات القرآنية الكريمة التي أيدت مفهوم الوسطية وحثت عليه سواء بالتصريح أو التلميح فقد امتلأت السنة بتلك الأحاديث التي حثت أتباع الإسلام على اتخاذ الوسطية منهجًا، والعدل طريقًا، والتوسط في الأمور واختيار أيسرها مسلكًا إذا لم يخالف ثابتًا معلومًا، وقد اتضحت معالم الوسطية في أقوال المصطفى ﷺ، وأفعاله، وسلمه، وحربه، وحلِّه وترحاله، وفي جميع أحكامه ﷺ، بل لقد امتدح الله ﷻ أمة الإسلام بقوله ﷻ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[4]، والوسط العدل كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، أن النبي ﷺ قال: « يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى، هل بلغت؟ فيقول نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون لا ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[5] والوسط: العدل »[6].

---

(١) (سورة: آل عمران، جزء الآية: ١١٠).

(٢) (سورة: الإسراء، الآية: ٢٩).

(٣) (سورة: الفرقان، الآية: ٦٧).

(٤) (سورة: البقرة، جزء الآية: ١٤٣).

(٥) (سورة: البقرة، جزء الآية: ١٤٣).

(٦) أخرجه الإمام البخاري في (صحيحه)، عن أبي سعيد الخدري ﷺ، (ك/ أحاديث الأنبياء)، (ب/ ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ، (سورة : نوح، الآية: ١)،

ومما سبق يتضح أن الأمة الإسلامية لابد أن تطبق منهج الوسطية في كل أمورها في غير إفراط مُضِلٍ ولا تفريط مُخِلٍ، وأن الشريعة الإسلامية كما امتازت بشموليتها فإنها تتزين بوسطيتها، وهذا ما أقرته مصادر التشريع الإسلامي.

□

(ح/ ٣٣٣٩)، (٤/ ١٣٤)، ط/ دار طوق النجاة، ط/ الأولى، ١٤٢٢هـ.

الضوابط العامة للوسطية

ويشتمل على مطلبين.

المطلب الأول: كيفية إدراك الوسطية، والعمل بها.

المطلب الثاني: الوسطية وارتباطها بالأحكام الفقهية، والمستجدات العصرية.

المطلب الأول: كيفية إدراك الوسطية، والعمل بها.

تُدرَك الوسطية بعدة طرق: أولًا: عن طريق النقل، ثانيًا: عن طريق العقل، ثالثًا: عن طريق العرف، ومن ثَمَّ وجب العمل بها واتخاذها منهجًا وسبيلًا.

أولًا: إدراك الوسطية عن طريق الشرع:

لقد تواترت وتعددت الآيات القرآنية والأحاديث المطهرة التي تدل على عدم التكلف والتزام الوسطية، فلو أمعنا النظر لوجدنا أن النبي ﷺ كان حريصًا على التيسير والتخفيف على أمته وهذا هو لُبُّ مفهوم الوسطية، ومما يؤيد هذا ما رواه أبو هريرة ﷺ، قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: « أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج، فحجوا، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله ﷺ: لو قلت: نعم لوجبت، ولما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»[1]. فكلام النبي ﷺ وفعله وعدم رده توجيه للصحابه ﷺ ومن بعدهم بالإتيان بالأعمال على قدر الاستطاعة، وترك مافيه تثقيلٌ على المسلمين.

ويبدو ذلك واضحًا أيضًا في تنظيم المال والملكية، والاعتراف بملكية الفرد لماله، إلى جانب أنه يملكه استخلافًا منه ﷻ؛ لكي يؤدي دوره ومسؤلياته في الحياة ويؤيده قوله ﷻ ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾[2] ، وقوله ﷻ ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ فقد اتضح هذا المنهج القويم في الإقرار بحق الفرد في المال، بجانب الاعتراف بأن للجماعة فيه حقًّا مقدرًا أو محددًا مفروضًا، يخصص للمستحقين وهو الزكاة، أو غير محدد لكنه مُرغبٌ فيه ، وهو الصدقة.

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه)، (ك/ الحج)، (ب/ فرض الحج مرة في العمر)، (ح/ ١٣٣٧)، (٢/ ٦٧٥).

(٢) (سورة:الحديد، جزء الآية:٧).

ثانيًا: إدراك الوسطية عن طريق العقل:

من يتدبر في أحكام الإسلام وتشريعاته ومعاملاته والنصوص الشرعية الحاكمة لهذه الأمور يرىٰ أن الوسطية لابد أن تكون منهجًا للعقل القويم المستنير الذي لا يحجُر علىٰ الأفكار والذي يفهم النص بدلالاته الصحيحة في ضوء الكتاب والسنة المطهرة لذلك جُعِلَ العقل مناط التكليف، وبالعقل يستطيع الإنسان أن يُفَرِّق بين الغثِّ والسمين، ولو تمعَّنا في السنة لوقفنا علىٰ أمر النبيﷺ لسيدنا معاذ حين بعثه إلىٰ اليمن قائلًا له كيف تصنع إن عُرِضَ لك قضاء؟ قال: أقضي بما في كتاب الله ﷻ. قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ. قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله ﷺ قال أجتهد رأيي لا آلو، قال: فضرب رسول الله ﷺ صدري، ثم قال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضي رسول الله ﷺ[1].

ومن خلال هذا يتضح أن الوسطية كمفهوم شامل لا يتعارض مع العقل السليم صاحب الفطرة القويمة بل هو من أهم ركائزها التي تنتشر من خلالها.

ثالثًا: إدراك الوسطية عن طريق العرف:

أرىٰ أن العرف: هو ما تعارف عليه الناس واعتادوا عليه في حياتهم، وصار قانونًا ينظم حياتهم فيما بينهم، وقد يختلف من مكان لآخر علىٰ حسب طبائع ساكنيه.

والعرف منه ما هو مقبول لا يناقض الشرع بل يتعضد به ، ومنه ماهو مذموم مردود داخل تحت البدع. ومن هذا المنطلق فإن العرف الذي يعتمد أهله علىٰ الوسطية فيما بينهم من أحكام، وتعاملات، وغيرها هو عرف محمود.

ومن أمثلة اعتماد الشرع علىٰ العرف مع الأمر بالوسطية في تنفيذه قوله ﷻ في كفارة

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في (مسنده)، (مسند الأنصار)، (ب/ حديث معاذ بن جبلﷺ)، (ح/ ٢٢٠٦٠)، (٥/ ٢٣٠)، ط/ مؤسسة قرطبة- القاهرة. قال: شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف؛ لإبهام أصحاب معاذﷺ وجهالة الحارث بن عمرو. أقول: له شواهد كثيرة ترفعه لدرجة الحسن لغيره.

اليمين ﴿ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ ﴾، (سورة: المائدة، جزء الآية:٨٩)، فلم يحدد الشرع طعامًا معينًا ولا مقدارًا معينًا، لكنه أصَّل الحكم وترك تنفيذه لأتباعه كل على حسب استطاعته، وعلى حسب تقييمه للمُطعِمِ، أو المُكْسَى....

والأدلة في القرآن على هذا النحو كثيرة.

المطلب الثاني: الوسطية وارتباطها بالأحكام الفقهية، والمستجدات العصرية.

لقد امتازت الشريعة الإسلامية عن سابقتها من الشرائع أو ما استُحدث من مذاهب بوسطيتها واعتدالها في أحكامها وتشريعاتها دون محاباة أو تفريق بين شخص وآخر، فالنص حاكم ما بين الرئيس والمرؤس، والمدير ومن تحته، وأفراد الأسرة فيما بينهم، وبين الفرد ومجتمعه.

وإذا نظرنا لجانب الأحكام الفقهية لوجدنا أن الشريعة الإسلامية قد أقرت الوسطية سبيلًا ومنهاجًا مراعية في ذلك حال المكلفين، من ذلك قول الله ﷻ خطابًا لأمة المسلمين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾[1]، وقوله ﷻ ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾[2]، ومثاله أيضًا ما ذُكر من عدم رد النبي ﷺ على الرجل الذي سأله ثلاثًا عن الحج أفي كل عام؟[3].

إننا نجد الشريعة الإسلامية تراعي الاستثناءات وتتغير أحكامها مع تغير حال المكلف، فالمجنون لا يحاسب كالعاقل فإذا عاد إليه عقله تغيرت أحكامه، والمريض عنده استثناء في الصيام لأيام أُخر إن استطاع وإلا أخرج الكفارة، والمرأة إن حاضت في فريضة الصيام قضت صيامها دون صلاتها.

---

(١) (سورة: المائدة، الآية:١٠١).

(٢) (سورة: البقرة، جزء الآية:٢٨٦).

(٣) سبق تخريجه (ص:١١)، (هامش رقم/ ١).

وقد ظهر منهج النبي ﷺ في سنته المطهرة وتأكيده على التيسير والوسطية في تنفيذ أحكام الشريعة وفهم استنباطاتها ومدلولاتها، ومن ذلك ما رواه ابن عباس- رضي الله عنهما-، «أن رجلا أَجْنَبَ (أصابته جنابة) في شتاءٍ، فسَأل وأُمِر بالغسل فاغتسل فمات، فذُكِر ذلك للنبي ﷺ، فقال ﷺ: «ما لهم قتلوه قتلهم الله» ثلاثا، قد جعل الله ﷻ الصعيد- أو التيمم- طُهورا»[1].

وأما ما يستجد من أمور شرعية فإن الشريعة الإسلامية المتجددة والصالحة لكل زمان ومكان لم تغلق باب الاجتهاد في وجه مَنْ هُم أهل له، فبين الحين والآخر تُسْتَجَدُّ أمور لم تكن في الأزمنة السابقة كزراعة الأعضاء مثلًا، والتلقيح الاصطناعي، والتعاملات البنكية، وغيرها، فمن وفقه الله ﷻ للاجتهاد السليم يجد القواعد الحاكمة التي تأخذ بيده للوصول إلى الحكم الصحيح وذلك من خلال النصوص الشرعية الإجمالية التي تحدد له الطريق حتى يصل إلى مبتغاه.

فعلاقة الوسطية بالأحكام وما يستجد من أمور علاقة الحاكمية أي: المتحكمة فيها المنظمة لها، وإذا خرجت هذه الأحكام عن هذا المفهوم وقع الناس إما في إفراط مُضلٍ، أو تفريط مُخل.

---

(١) أخرجه الحاكم في (مستدركه)، (ك/ الطهارة)، (ب/ وأما حديث عائشة- رضي الله عنها-)، (ح/ ٥٨٥)، (١/ ٢٧٠)، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى،١٤١١ه، ١٩٩٠ه. وقال: (صحيح)، ووافقه الذهبي.

الفصل الثاني

الوسطية منهج حياة

ويشتمل على مبحثين

المبحث الأول: أثر الوسطية في شؤون الحياة، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أثر الوسطية في تقويم سلوك الأفراد.

المطلب الثاني: أثر الوسطية في الترابط والنهوض المجتمعي.

المبحث الثاني: كيفية القضاء على الغلو والتطرف من خلال الوسطية، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: دور الدولة والهيئات التعليمية في إرساء مبدأ الوسطية ونشر الفكر الوسطي

المطلب الثاني: دور الأسرة في ترسيخ مبادئ الفكر الوسطي والحفاظ على أفرادها من الانزلاق بعيداً عنه.

المبحث الأول

أثر الوسطية في شؤون الحياة

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أثر الوسطية في تقويم سلوك الأفراد.

المطلب الثاني: أثر الوسطية في الترابط والنهوض المجتمعي.

المطلب الأول:

أثر الوسطية في تقويم سلوك الأفراد.

كما اتسمت الشريعة الإسلامية الغراء بشموليتها واحتوائها لجميع متبعيها فكذا اتسمت بوسطيتها التي أذهلت حتي مخالفيها المنصفين الباحثين عن الحقيقة.

وانطلاقًا من هذه الحقيقة فإن وسطية الإسلام في تشريعاته وأحكامه، وشتىٰ جوانبه استطاعت أن تحتوي الأفراد فتقوم سلوكهم، فتجذب العاصي ليتقرب من ربه، والعاق ليتقرب لوالديه، والمرابي ليأكل من الحلال ويُقلع عن تلك الكبيرة النكراء، والسارق ليتوب من سرقته، والزاني ليقلع عن تلك الفاحشة، وسيء الخلق ليعيد حساباته مع ربه ومع الناس.

لقد استطاعت وسطية الإسلام أن تقوِّم سلوك الفرد، فَحَمَتْهُ من الغلو والانحراف فنظمت حياته مع ربه وعلاقته به، وكذا علاقته مع نفسه، ومع الآخرين، حتىٰ مع الجماد والبيئة التي يحيا فيها.

لم يفرض الإسلام علىٰ متبعيه أن يظلوا عاكفين في المساجد علىٰ الدوام تاركين كسب عيشهم وإنما أمرهم أن يكونوا وسطًا بين ذلك. لذلك قال الله ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٠﴾[1]، فالله ﷻ كما أمرهم بأداء فريضته في وقتها وتركِ أي شيء يحول بينهم وبينه ﷻ أمرهم أن ينتشروا في أرضه ليأكلوا من رزقه حتىٰ يقوموا بما كُلفوا به من مهمات سواء بالإنفاق أو القوامة، ومن ذلك قول النبي ﷺ «إن من الذنوب ذنوبًا لا تكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة» قالوا: فما يكفرها يا رسول الله؟ قال: «الهموم في طلب

---

(١) (سورة: الجمعة، الآيتان: ٩، ١٠).

المعيشة»[1]. وذلك إن دل فإنما يدل على حرص الإسلام على أن يكون المسلم مقتصدًا في عبادته، وكذا في كسبه ومعيشته حتى لا يُضيِّع من يعول كما قال ﷺ «...كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول»[2]. وكما قال أيضًا « أفضل دينار ينفقه الرجل، دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله » قال أبو قلابة: وبدأ بالعيال، ثم قال أبو قلابة: وأي رجل أعظم أجرًا، من رجل ينفق على عيال صغار، يعفهم أو ينفعهم الله به، ويغنيهم[3].

وفي سبيل تقويم الأفراد لم يُعْجِب النبي ﷺ ما صدر من الثلاثة الذين أتوا علي بيته فلما أُخبِرُوا عن عبادته ﷺ فكأنهم تقالُّوها فأرادﷺ أن يقومهم حتى لا يفتح الباب أمام المسلمين للرهبنة أو الغلو ومن ثم تحريم أمر قد أحله الله ﷻ. ويؤيد هذا ما رواه البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا،

---

(١) أخرجه الطبراني في (المعجم الأوسط) من حديث أبي هريرةﷺ، (ب/ الألف- من اسمه أحمد)، (ح/ ١٠٢)، (١/ ٣٨)، ط/ دار الحرمين- القاهرة.

وعقب عليه بقوله: لم يروه عن مالك بن أنس إلا يحيى بن بكير، تفرد به: محمد بن سلام. قال أحمد بن يحيى: فقلت: كيف سمعت هذا من ابن بكير ولم يسمعه أحد غيرك؟ فقال: كنت عند ابن بكير جالسًا، فجاءه رجل، فذكر ضعف حاله، فقال ابن بكير: حدثنا مالك، وذكر هذا الحديث.

(٢) أخرجه الحاكم في (المستدرك)، (ك/ الفتن والملاحم)، (ب/ أما حديث أبي عوانه)، (ح/ ٨٥٢٦)، (٤/ ٥٤٥)،عم عبدالله بن عمروﷺ. وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

(٣) أخرجه مسلم في (صحيحه)، عن ثوبانﷺ، (ك/ الزكاة)، (ب/ فضل النفقة على العيال والمملوك، وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم)، (ح/ ٩٩٤)، (٢/ ٦٩١).

أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1].

ومن وسطية الإسلام أنه كما يحض أتباعه على التزام أمره وتطبيقه كما أراد فإنه يفتح لهم باب الفسحة والترويح عن النفس لكن في حدود ما أحله الله ﷻ، فقد روى مسلم عن أبي عثمان النهدي، عن حنظلة الأسيدي ﷺ، قال: لقيني أبو بكر ﷺ، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ، يذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرًا، قال أبو بكر ﷺ: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر، حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، قلت: نافق حنظلة، يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ «وما ذاك؟» قلت: يا رسول الله نكون عندك، تذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرًا، فقال رسول الله ﷺ: « والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات[2].

ومن نماذج الوسطية لإصلاح وتقويم الفرد وتهذيب سلوكه « الوسطية في الإنفاق» فتجد القرآن الكريم يحذر من الإمساك المقيت في الإنفاق وكذلك من التبذير في الإنفاق أيضًا فيقول الله ﷻ ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[3]، ويقول ﷻ أيضًا ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾[4].

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، (ك/ النكاح)، (ب/ الترغيب في النكاح)، (ح/ ٥٠٦٣)، (٧/ ٢).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه)، (ك/ التوبة)، (ب/ فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا)، (ح/ ٢٧٥٠)، (٤/ ٢١٠٦).

(٣) (سورة: الإسراء، الآية: ٢٩).

(٤) (سورة: الإسراء، الآية: ٢٧).

ومن وسطية الإسلام لإصلاح الفرد أنه يأمره بالزواج متىٰ استطاع وأن يكون حريصًا عليه بل ويأمره أن ينظر لمخطوبته كما جاء في حديث سيدنا أنس ﷺ، أن المغيرة بن شعبة ﷺ خطب امرأة، فقال رسول الله ﷺ: «اذهب فانظر إليها، فإنه أحرىٰ أن يؤدم بينكما» قال: فذهب فنظر إليها فذكر من موافقتها»[1]. لكن مع ترغيب الشرع للخاطب أن ينظر لمخطوبته نجده يحرم النظرة ويصفها بأنها سهم مسموم من سهام إبليس، بل وتجده يحض علىٰ غض البصر، لكن شتان بين نظرة وأخرىٰ فالأُولىٰ مبدأٌ لحلال، والثانية مبدأٌ لحرام.

بل ومن وسطية الإسلام عدم تحديد المهر وجعله حقًا للزوجة لكن مع هذا يقول النبي ﷺ لأحد الصحابة «...التمس ولو خاتمًا من حديد»[2]. والشاهد منه أنه ﷺ أمر بإعطاء المرأة المهر لكنه رغب المرأة ووليها أن ييسروا علىٰ الزوج حتىٰ لا يحمل فوق طاقته.

ومن وسطية الإسلام لتقويم وإصلاح سلوك الأفراد الأمر بالوسطية بين العمل للآخرة والعمل للدنيا كما قال ﷻ ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[3]. وقال ﷻ ﴿۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى

---

(١) أخرجه الحاكم في (مستدركه)، (ك/ النكاح)، (ح/ ٢٦٩٧)، (٢/ ١٧٩)، وقال: « صحيح علىٰ شرط الشيخين، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الإمام البخاري مطولاً في (صحيحه)، (ك/ فضائل القرآن)، (ب/ خيركم من تعلم القرآن وعلمه)، (ح/ ٥٠٢٩)، (٦/ ١٩٢)، عن سهل بن سعد ﷺ، قال: أتت النبي ﷺ امرأة، فقالت: إنها قد وهبت نفسها لله ولرسوله ﷺ، فقال: «ما لي في النساء من حاجة»، فقال رجل: زوجنيها، قال: «أعطها ثوبا»، قال: لا أجد، قال: «أعطها ولو خاتمًا من حديد»، فاعتل له، فقال: «ما معك من القرآن؟» قال: كذا وكذا، قال: «فقد زوجتكها بما معك من القرآن».

(٣) (سورة: القصص، الآية: ٧٧).

﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1]. فشريعة الإسلام كما حضت على العمل للأخرة أمرت أتباعها أن يتمتعوا بنعائم الله ﷻ دون إسراف أو تبذير أو وقوعٍ في محرم.

وكذلك أمر الإسلام بالوسطية في العبادة والدعاء ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾[2].

بل لقد حذر النبي ﷺ من التنطع والتشدد في الدين فقال ﷺ « هلك المتنطعون »[3].

والأمثلة كثيرة لكن نكتفي بهذا القدر.

---

(١) (سورة: الأعراف، الآيات:٣١-٣٣).

(٢) (سورة: الإسراء، الآية: ١١٠).

(٣) أخرجه مسلم في (صحيحه)، (ك/ العلم)، (ب/ هلك المتنطعون)، (ح/ ٢٦٧٠)، (٤/ ٢٠٥٥)، والمتنطعون هم: المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وفعالهم

المطلب الثاني:

أثر الوسطية في الترابط والنهوض المجتمعي.

كما أن أتباع منهج الوسطية يغير سلوك الأفراد إلى السلوك القويم فكذلك ينسحب هذا على السلوك العام للمجتمع فيؤدي بدوره إلى الترابط المجتمعي فكما أسلفنا من قبل ماذا لو يسر أولياء النساء على الأزواج من غير تضييع لحق النساء؟ النتيجة أننا سنجد ترابطًا أُسريًا بعد الزواج يزينه الحب والعشرة الحسنة الطيبة. إن العلاقة التي تبدأ بالإحساس بالمسؤولية والرأفة بأحوال الناس والوسطية وعدم المغالاة في المتطلبات لاشك أنها تبقى هكذا إلى أن يشاء الله.

إن مما ساد وانتشر في هذا الوقت ارتفاع حالات الطلاق وكثرة قضايا الخلع والنفقات في محاكم الأسرة وأكثر هذه القضايا أساسها أسباب تافهة كانت تحتاج فقط إلى مُصْلِحِينَ لكن كثيرًا من الأشخاص الذين لديهم الملَكَة في الصلح بين الناس قد اعتزل عن الناس وأراد أن يُصَفِّيَ عقله بعيدًا عن الناس، وهذا زعم خاطئ سيسأل عليه أمام اللهﷻ فكم من جرائم ارتكبت، وحقوق ضاعت بسبب ابتعاد هؤلاء عن الصورة.

إن بعض الناس ديدنه المشقة على نفسه وتكليف نفسه مالا يطيق، ربما في بعض الأماكن- بسبب المغالاة- يضطر بعض الناس لقطع الرحم، وعدم زيارة المريض، أو الذهاب للتهنئة بالزواج، قد يسأل سائل فيقول كيف هذا؟ أقول له: إنه- في بعض الأماكن- قد ساد العرف ألا يدخل أحد على أحد إلا ويداه حاملتان لبعض الأشياء إما هدية ثمينة، أو فاكهة غالية بأنواع مختلفة،،،، مما يدفع بعض الناس لعدم الذهاب؛ لأنه في الأصل لا يملك حق هذه الأمور ولو بحثنا في أصل الأمر لوجدنا خلاصته البعد عن الوسطية.

أنا لا أمنع التهادي لكن أقول بعض الناس قد فهموا هذا خطأً وابتعدوا عن منهج الوسطية. وانطلاقًا من هذه الأمور لابد للناس أن ييسروا ولا يعسروا، ولا يشددوا فيشدد الله عليهم.

بهذه الأمور وأمثالها نستطيع أن نتراحم فيما بيننا وذلك بالشعور بأحوال بعضنا فقد كان أجدادنا يأكلون في طبق واحد، ربما كثير منهم لم يكن يمتلك أموالًا كثيرة لكن كانت قلوبهم نظيفة.

إن عدنا إلى ما أمرنا به الإسلام من الوسطية والاعتدال لوجدنا ثمرات النهوض والترابط المجتمعي، ولما وجدنا مثلًا شخصًا يزوج ابنته يُستدان بآلاف الجنيهات؛ ليأتي لها بأفخم الشاشات والثلاجات ،،،، بل ونضيق ونشترط على بعضنا في هذه الأمور، وكثيرًا من هذه الأشياء لا يخرج أصلًا ولا ينتفع به الزوجان في حياتهما.

هذا مثال بسيط انعدمت فيه الوسطية ولإتمام هذا الأمر يخرج الطرفان مُكَبَّلان بالديون. فالله الله في وسطية الإسلام وتطبيق تعاليمه فبها يسعد الفرد ويعم الخير والأمان على المجتمع.

المبحث الثاني

كيفية القضاء على الغلو والتطرف من خلال الوسطية

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: دور الدولة والهيئات التعليمية في إرساء مبدأ الوسطية ونشر الفكر الوسطي.

المطلب الثاني: دور الأسرة في ترسيخ مبادئ الفكر الوسطي والحفاظ على أفرادها من الانزلاق بعيداً عنه.

المطلب الأول: دور الدولة والهيئات التعليمية في إرساء مبدأ الوسطية ونشر الفكر الوسطي.

لا شك أن المجتمع الذي تقوم دعائمه على الوسطية والعدل هو مجتمع قوي لا يشعر فيه الغني أنه أفضل من الفقير، ولا القوي أنه أفضل من الضعيف.

فلو نظرنا إلى التكامل السريع الذي حدث في غضون أعوامٍ قليلة استطاع أن يُكوِّن فيها رسول الله ﷺ مجتمعه الجديد لوجدنا أن أول أساس وضعه النبي ﷺ هو الأخوة والمحبة والإيثار، والعدل المطلق بين الجميع وعدم المحاباة لأحد على أحد، فالكل سواء، وهذا ما اتضح جليًا لما جاء سيدنا أسامة بن زيد- رضي الله عنهما- ليشفع للمرأة المخزومية التي سرقت حُليًا يوم فتح مكة فقال له رسول الله ﷺ « أتشفع في حد من حدود الله؟» ثم قام فخطب، قال: «يا أيها الناس، إنما ضل من قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد ﷺ، سرقت لقطع محمدﷺ يدها»[1].

وحتى ينصلح حال المجتمع يجب على جميع المؤسسات أن تنهج هذا النهج، فهذا النهج الوسطي استطاع به النبي ﷺ أن يفتح القلوب قبل البلاد. ولابد للدولة أن تُولي رجال الدين والدعوة والمعلمين والأساتذة اهتمامًا بالغًا بزيادة تثقيفهم وإعطائهم الفرصة في البحث مع ضمان عيشٍ كريم لهم حتى لا يضطر أحدهم للبحث عن مصدر رزق آخر أو مسار منحرف فيُضيع مهمته فلا يستفيد المجتمع منه بشيء .

والدور الأكبر هنا ملقىً على عاتق الهيئات التعليمية وفي طليعتها الأزهر الشريف – وهو معقل الوسطية ومنارة العلم في الدنيا لولاه لاندثرت معالم كثيرة وعلوما شتى، نحمد الله على نعمة وجوده على وجه البسيطة، وأسأل الله العظيم بكرمه أن يحفظه ويحفظ رجاله إلى يوم الدين-. فالأزهر كان وما زال يُدرس العلم الوسطي منذ ما يزيد على الألف عام يخرج

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، (ك/ الحدود)، (ح/ ٦٧٨٨)، (٨/ ١٦٠).

أجيالًا متعاقبة قادرة بفضل الله ﷻ على حفظ أصول الدين وتعاليم الإسلام السمحة.

ثم يأتي الدور على هيئات التعليم العام من المرحلة الابتدائية وحتى الجامعية أن تقوم بواجبها وذلك بجعل مادة التربية الدينية مادة أساسية مضافة للمجموع، فيها نجاح ورسوب، وكذلك إسنادها إلى من يستطيع إيصال المنهج الوسطي القويم للطلاب حتى يخرج الطالب مُلِمًا بأساسيات دينه متقبلًا للاختلاف، محصنًا عقله وفكره من معتقدات الجماعات والمذاهب الفكرية الضالة التي تسحب الشباب إلى ضلالاتهم وما هذا إلا لغياب الوعي الديني والتأسيس الصحيح السليم لقواعد الإسلام السمحة في نفوس هؤلاء الطلاب.

المطلب الثاني: دور الأسرة في ترسيخ مبادئ الفكر الوسطي والحفاظ على أفرادها من الانزلاق بعيداً عنه.

بعدما عرضنا بعض النقاط لدور الدولة ومؤسساتها الدينية في الحفاظ على الوسطية وجعلها منهجًا في كل مناحي الحياة وجب علينا أن ندخل إلى داخل المجتمع الصغير وهو الأسرة؛ لأنها نواة المجتمع فإذا انصلحت انصلح المجتمع وإلا فلا. وأول شيء لابد أن يتوافر في الأسرة العدل فلا يُفضل فردٌ على آخر، مع التزام الوالدين بمصاحبة الأبناء مع رفق رب الأسرة بوالده ووالدته وصلة أرحامه حتى يكون قدوة بأفعاله أمام الأبناء، لا يأمرهم بالصلاة ويضربهم عليها وهو جالس في بيته لا يذهب معهم وهو غير معذور.

لابد أن يراقب الأب والأم الأبناء من بعيد فينظرون من يصاحبون، ومن يجالسون، ومدى محافظتهم على الأخلاق الإسلامية واحترامهم للآخرين، لابد أن يعلموهم التواضع وعدم التكبر على الناس، لابد أن يعلموهم كيفية تقبل الآخر وأنه يعيش معنا في بلادنا أناس غير مسلمين لكننا أبناء وطن واحد ندافع عنه سويًا ونأكل من خيراته نتشارك معًا حمايته والنهوض به.

لابد أن يتعلم أبناؤنا أن عليهم واجبات كما أن لهم حقوقا، وأن يعلموا أن المرء بالعلم

يحيا، وأن المسلم بوسطيته يزداد رفعة، وأنه لا فرق لأحد على أحدٍ إلا بتقواه لله ﷻ

لابد أن يدخل الآباء مع الأبناء في نقاشات علمية هادفة ينظرون من خلالها إلى أين تتجه أفكارهم فيصوبون لهم ما ضلوا فيه وما ابتعدوا فيه عن الفكر الوسطي القويم.

إن أهم مصدر لجماعات الضلال يسحبون به الشباب هو عدم الوعي؛ لذلك وجب على الآباء أن يحصنوا أبناءهم من هذه الأفكار الضالة المتشددة البعيدة عن المنهج الوسطي القويم.

لقد طَفَتْ ظاهرة غريبة في هذه الأيام وظهرت بوادرها السيئة وهي تشدد بعض الآباء مع أولادهم وعدم معرفتهم لطبائع هذا الجيل فوجدنا في هذا العام عدة حالات للانتحار سواء بإلقاء أنفسهم من أعلى المباني، أو في البحر، أو بشنق أنفسهم، وإذا نظرت إلى السبب تجد أغلبه بسبب ضعف النتيجة في الثانوية مثلًا وكأنها آخر المطاف.

لابد للآباء أن يؤسسوا لنظام قويم في بيوتهم يقوم على التدين الوسطي المعتدل الذي يدعو إلى التفاؤل حتى في أحلك الظروف، وأن يكثروا أمامهم من الحديث عن سيرة النبي ﷺ وأصحابه ﷺ وكيف كانوا يواجهون الصعاب حتى يظفروا من عند الله بنصر يرضيهم ويطمئن قلوبهم. وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحفظ أمة الإسلام والمسلمين.

أهم النتائج المستخلصة من البحث:

بعد هذا العرض الوجيز لمفهوم الوسطية ومدى تأثيرها على تقويم السلوك الفردي والمجتمعي فإني أحمد الله ﷻ أن جعلني ممن استعملهم في خدمة دينه، ووفقهم للدفاع عنه حتى ولو بكلمة صادقة وإني لأرجو الله ﷻ أن يصلح حال أمتنا وأن يعود الناس إلى ربهم.

وقد خلصتُ من هذا البحث المختصر إلى أننا بحاجة إلى دراسة ديننا مرة أخرى والاعتناء بتراثنا والنظر إلى تلك الأمور التي جعلناها فرضًا على أنفسنا وهي بعيدة عن معالم المنهج الوسطي.

خلصتُ إلى أن المسلم الحق مشغول بإيمانه، يُصلح نفسه وبيته وباطنه وظاهره، مشغول بعيوبه عن عيوب غيره يسعى لإنقاذ نفسه وأهله من النار، علاقته بالناس مرتبطة بالحب في الله ﷻ ينصحهم برفق ويتودد إليهم. لكن المسلم المتشدد منشغل بإيمان غيره يرصد له الأخطاء ويتصيد له الزلّات، ينظر إلى نفسه كأنه أعبد الناس لا يرى في نفسه تقصيرًا، يشعر بأنه حاكم على الناس محاسبٌ لهم .

المسلم الحق يسعى لإدخال نفسه وغيره الجنة لكن المتشدد يسعى لإثبات أن غيره لا يستحق الجنة.

المسلم الحق هو من يبحث للناس عن الأعذار حتى يغفر لهم زلاتهم، لكن المتشدد يفتش عن زلات الآخرين ليفضحهم بها. نسأل الله أن يعمنا بفضله، ويشملنا بستره، ويحفظ علينا ديننا، وأن يجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين إنه ولي ذلك ومولاه. سبحان ربنا رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم.

ثانيًا: كتب التفسير:

- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الثالثة- ١٤٢٠هـ.

ثالثًا: كتب الحديث.

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول اللهﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ عدد الأجزاء: ٩.

- المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت

- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اللهﷺ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، عدد الأجزاء: ٥.

- المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة، عدد الأجزاء: ١٠.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف : أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، الناشر : مؤسسة قرطبة – القاهرة، عدد الأجزاء : ٦،

الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرناؤوط عليها.

الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٤.

رابعًا: كتب اللغة والمعاجم:

- جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٣.

- العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨.